مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية . المجلد 14 العدد 2 جويلية 2023/ - محرم 1445ه
ص ص: 69 – 100

❁ الفقهاء والسّلطة السّياسيّة محمد بن عبد الكريم المغيلي – أنموذجا–

Jurists and political authority, Muhammad ibn Abd al-Karim al-Mughili - a model -

رماقي تمام المهدي الأمين*

جامعة الجزائر1 بن يوسف بن خدة، كلية العلوم الإسلاميّة (الجزائر)
t.remagui@univ-alger.dz

تاريخ الإرسال: 2023/01/11 تاريخ القبول: 2023/05/15 تاريخ النشر: 2023/07/30

ملخص:

يتناول هذا البحث جزئيّة علاقة الفقهاء بالسّلطة السّياسية، من خلال تتبّع مسار الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي، وتكمن أهميّة هذا الموضوع في شخصيّة المغيلي المحوريّة في التاريخ الوسيط، ومكانته العلميّة والمعرفيّة الكبيرة في الوسط العلميّ، كما تكمن الأهميّة في الجدليّة نفسها والتي أسالت الحبر ومازالت إلى اليوم، ويهدف هذا البحث إلى التّنقيب على مساحات التّفاعل في مجال هذه الثّنائية في حياة الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي، الذي أثرى الساحة العلميّة والمعرفيّة بمؤلفات في هذا المجال، كما كانت حياته المليئة بالأحداث مثالا فريدا لفهم هذه العلاقة، والتي تتجلّى أكثر كلّما أكثرنا من دراسة النّماذج لاستخلاص القواسم المشتركة، وبناء القواعد والأسس في هذه القضية.

الكلمات المفتاحيّة: الفقهاء، السلطة السّياسية، محمد بن عبد الكريم المغيلي، اليهود، توات، السودان الغربي.

* المؤلف المرسل

Abstract:

This research deals with the relationship of jurists with political power, by reading the path of the jurist Muhammad ibn Abd al-Karim al-Mughili, the importance of this topic lies in the central figure of Al-Mughili in medieval history, and his great scientific and knowledge position in the scientific community. This research aims to discover the areas of interaction in the field of this duality in the life of the jurist Muhammad bin Abdul Karim Al-Mughili, who enriched the scientific and knowledge arena with books in this field, and his life full of events was a unique example for understanding this relationship, which will be more evident the more we study models to extract commonalities, building bases and foundations about this case.

Keywords: jurists, political authority, Muhammad ibn Abd al-Karim al-Mughili, Jews, Tuat, Western Sudan.

1. مقدّمة:

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على من بعثه الله رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدّين.

إن التماس دائرة الدّيني والسّياسي من أهمّ القضايا التي شغلت العلماء والمفكّرين في الحضارة الإسلاميّة قديما وحديثا، بحكم أنّ لكلّ منهما سلطة ما، ممّا جعل تداخل السّلط يشكل ثنائيّة مهمّة بين أهل المعرفة وأهل السياسة، أو بين السلطة الزمنيّة والسلطة الروحيّة، ولقد كانت هذه القضية محلّ اهتمام العلماء في كتبهم، ومؤلفاتهم، ودراساتهم.

إشكاليّة البحث:

إنّ إشكاليّة البحث المطروحة هي فرع عن إشكالية كبرى تتمثل في وجود نظريّة كاملة تحكم علاقة التخصصات المتمايزة، وخصوصا المتداخلة منها، وجاء هذا البحث في هذا السّياق، من خلال تتبّع مسار شخصية الإمام المغيلي، واستقراء علاقته بالسّلطة السّياسيّة والشّأن العام للمسلمين، فالسؤال المحوري التي يدور حوله البحث هو: كيف تمثلت ثنائية الفقهاء والسّلطة من خلال تجربة الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي؟، ويتفرع عن هذا السؤال المحوريّ مجموعة من الأسئلة الفرعيّة أهمّها:

من هو الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي؟، كيف نشأ؟، وماهي آثاره العلميّة؟، ما هي المكانة التي كان يحظى بها الإمام المغيلي في مجتمعه؟، ماهي أهم التّفاعلات السياسيّة في حياته؟.

منهج البحث:

للإجابة عن هذه الأسئلة اتبعت أسلوبا لا يخرج عن أسلوب الدراسات التّاريخية، متبعا منهجا **استقرائيّا**، أتتبّع فيه حياة المغيلي وتحرّكاته، مستعملا في كل مرحلة من مراحل البحث **التحليل** لكل النّصوص الواردة في القضية.

خطة البحث:

قسّمت هذا البحث إلى أربعة محاور، إضافة إلى مقدّمة وخاتمة، سمّيت المحور الأوّل: **تعريفات ودلالات**، أطرح في أهم المصطلحات التي يدور عليه البحث بالتعريف والإيضاح، وفي المحور الثّاني تناولت **حياة الشيخ المغيلي وعصره** وأهمّ ما يتعلق بشخصه، وآثاره العلميّة، والظّروف التي نشأ فيها، وكيف كانت الأوضاع في زمانه، ثم دخلت في صلب الموضوع فتناولت القضية الأبرز في حياته وهي محنته مع يهود توات بمحور سميته: **المغيلي ونازلة يهود توات**، ثم ذكرت تفاعلات الشيخ المغيلي مع أمراء السّودان الغربي، في كلّ من كانو والسنغاي، بمحور سمّيته: **المغيلي والسلطة السّياسيّة في السودان الغربي**، ثم ذيلت البحث **بخاتمة** أجمع فيها أهم النتائج والتوصيات.

واعتمدت في بحثي هذا على العديد من المصادر والمراجع التي تدور حول حياة الشيخ المغيلي وآثاره وإنتاجه، خاصّة المتعلّقة بالفقه السيّاسي، وأهم ما وقفت عليه من مصادر، هي رسائله في هذا المجال، مثل: **مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين، رسالة فيما يجوز للحكام من ردع الناس عن الحرام، أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي**، وهي أهمّ رسائله في التي ترسم لنا منهجه ورؤيته في الإصلاح السياسي.

أسأل الله عزّ وجلّ أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يغفر لنا ما زلت به الأقلام، وأصلّي وأسلّم على خير الأنام، وعلى آله وصحبه الكرام.

2. تعريفات ودلالات:

إن الولوج إلى أي حقل معرفي أو موضوع علمي لابد من مفاتيح الدخول إليه، ويعتبر تحديد المصطلحات وشرحها للدّارسين خطوة لابدّ منها، ليتتبّع القارئ حيثيات البحث على بصيرة وهدى، فلا تلتوي به الطّرق عن الهدف المسطّر، كما أنه لا يمكن إغفال التّطور الدّلالي لأي مصطلح، لما يعتريه من عوامل الزّمان والمكان، يقول ابن خلدون: "ومن الغلط الخفي في التّاريخ، الذّهول عن تبدّل الأحوال في الأمم والأجيال، بتبدّل العصور ومرور الأيام"[1]، ولذلك قبل أن نلج في الموضوع لابد أن نحدد مفهوم الفقيه، والسّلطة السّياسيّة لإزالة الغموض عنهما، ثم نورد إطلالة على هذه الجدليّة الشائكة، التي ألقت بظلالها في التاريخ الإسلامي.

1.2 الفقه والفقهاء:

الفقه لغة: هو الفهم والفطنة[2]، ثم غلب على علم الدّين فخُصّ به[3]، قال تعالى: ﴿ قَالُواْ يَـٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ ﴾[4]، وقال تعالى: ﴿ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾[5] .

اصطلاحا: فاللفظ يطلق على علم الدّين قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِى ٱلدِّينِ ﴾[6]، وقال ﷺ: "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدّين"[7]، وقد عرّفه بعضهم أنّه معرفة النّفس، مالها وما عليها، والمعرفة هي إدراك الجزئيّات عن دليل، فيشمل هذا الاعتقادات والوجدانيّات والعمليّات، ثمّ استقلّ بمعرفة علم النفس وما عليها من الأحكام

[1] المقدّمة، عبد الرحمان بن خلدون، تح: درويش الجويدي، بيروت، المكتبة العصريّة، 1995م، ص.35.

[2] أساس البلاغة، الزمخشري، تح: عبد الرّحيم محمود، بيروت، دار المعرفة، بيروت: ص.346.

[3] لسان العرب، ابن منظور، بيروت، دار صادر، ط.3، 1994م، 522/13.

[4] هود، 91.

[5] النّساء، 78.

[6] التّوبة، 122.

[7] أخرجه الإمام مالك، الموطأ، باب القدر، تح: سعيد محمّد اللّحام، بيروت، دار إحياء العلوم، ط.2، 1990م، ص.691.

العمليّة[8]، وعرّف الفقه أيضا بالتّعريف المشهور، هو العلم بالأحكام العمليّة، المكتسبة من الأدلّة التفصيليّة[9].

يعتبر الفقه أهم العلوم الإسلاميّة التي أنتجها العقل الإسلامي المتفاعل مع النّص والواقع، حيث يتعلّق بجميع أنشطة الفرد والجماعة، فالفقه هو العلم بالأحكام العمليّة التي تنظم علاقة الإنسان بربّه، وبنفسه، وبغيره، فتشمل العبادات من صلاة، وزكاة، وصوم، وحج وغيرها، وتشمل المعاملات وما تعلق بها من زواج، وطلاق، وبيوع، وهبة، وودائع وغيرها، كما تشمل السّياسة الشرعيّة وما تعلّق بها من جهاد، وقضاء وعلاقة الحاكم والمحكوم، فمكانة الفقه عظيمة لا يخفى فضله، وتُنكر مكانته، حتى أُطلق على العلماء في التاريخ الإسلامي بالفقهاء.

الفقهاء: وهو وصف يطلق على كل من تعاطى الفقه أو تلبّس به –بداهة–[10]، إلا أن المصطلح كان محل تجاذب بين الفقهاء أنفسهم، فمنهم من عدّ كل من تعاطى الفقه أو حصّل شيئا منه قلّ أو كثر فقيها، ومنهم من جعله في من بلغ رتبة الاجتهاد فقط، وعلى رأس هؤلاء ابن رشد والقرطبي[11]، إلاّ أن كتب السّير والتّراجم لم يعوّلوا على هذا التّصنيف، فعدّوا كل من تلبّس بالفقه وشارك فيه فقيها، وللفقهاء تقسيمات كثيرة ترتّب، وتصنّف من تعاطى الفقه وشارك فيه، وهذه التقسيمات مبثوثة في كتبهم، تختلف من فقيه إلى آخر، إلا أنّ ما يهمّنا في موضوعنا هذا هو مكانة الفقهاء في المجتمع، وعلاقتهم بالسّلطة السّياسيّة، وخاصّة في الغرب الإسلامي، يقول المقري: "وسمة الفقه عندهم جليلة، حتى إن الملثّمين كانوا يسمون الأمير العظيم منهم الذي يريدون تنويهه بالفقيه، وهي الآن بمنزلة القاضي بالمشرق، وقد يقولون للكاتب، والنحوي، واللّغوي فقيها، لأنها عندهم من أرفع السّمات"[12]،

---

[8] الفقه الإسلامي وأدلّته، وهبة الزحيلي، دمشق: دار الفكر، ط4، 1997م، 29/1.

[9] وهبة الزحيلي، المرجع السّابق، 30/1

[10] فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة، لخضر بولطيف، الجزائر: دار الصديق للنشر والتوزيع، الجزائر، ط.خ.، 2015م، ص. 56.

[11] لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص58.

[12] نفح الطيب، أحمد المقري، تح: إحسان عباس، بيروت، دار صادر، 1998م 221/1.

كان للفقهاء دور كبير في الحياة الإسلاميّة، فبالإضافة إلى مهمّتهم الأولى، والتي هي تبليغ شرع الله، وإفتاء النّاس، والنظر في الأدلّة لاستنباط الأحكام، إلا أنّهم شكّلوا طبقة مهمّة من طبقات المجتمع الإسلاميّ، اتسعت مهامها من الجانب الدّينيّ إلى الاجتماعيّ، والسّياسيّ، والاقتصاديّ، ممّا جعلهم يعتبرون سلطة في حدّ ذاتها لما لهم من مكانة عند الناس، ولما حازوه من مناصب مهمة في قطاعات الدّولة الإسلاميّة، لا يحوزها إلا هم كالمستشار، والقاضي، والمفتي، وإمام الجامع وغيرها من الوظائف الرسميّة، ولما حازوه من وظائف بعيدة عن دهاليز القصور، ومناصب الإدارة، والقضاء، كالتّربية والتعليم، وتحفيظ القرآن، وفكّ النّزاعات، والإصلاح بين النّاس وغير ذلك من المهام المجتمعيّة، هذا بالإضافة كما ذكرنا سابقا إلى مكانتهم الرّوحية باعتبارهم علماء دين وشرع، "وهو ما أكسبهم سلطة علميّة هامّة، تأكّدت سيطرتهم على الوظيفة الشّرعيّة، والقضائيّة، والمنظومة الفكريّة، بما خلدوه من تراث كبير"[13] فنافست هذه السلطة سلطة الأمراء والسّلاطين –السّلطة السّياسية– أو الزمنيّة كما يعبّر عنها البعض، وهو ما جعلهم يشكّلون ثنائيّة سلطويّة ألقت بظلالها على الكثير من الأحداث، والعديد من التّجارب في التّاريخ الإسلامي.

2.2 السّلطة السّياسيّة:

السّلطة لغة: يشتقّ مصطلح السّلطة من السّلاطة، وهو التّمكن والقهر[14]، وفعله سلط، يقال سلطته، أي تحكّم وتمكّن وسيطر، ومنه جاءت كلمة المسيطر، وهو القويّ القاهر، قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾[15]، وقال تعالى: ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا ﴾[16]، وقال تعالى: ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾[17]. ويقول أحمد رضا في معجم متن اللغة: سلّطه عليه، جعل له قوة وقهرا عليه، ويقول الفيروز آبادي: أنها القدرة والقوة[18].

---

[13] فقهاء تلمسان والسّلطة الزّيانيّة، صابرة خطيف، الجزائر: دار الجسور للنشر والتّوزيع، ط.1، 2011م، ص.68.

[14] لسان العرب، ابن منظور.

[15] الحجر، 42.

[16] الإسراء، 33.

[17] الحاقّة، 29.

[18] القاموس المحيط، الفيروز آبادي، بيروت، دار الكتاب العربي، 1983م، 365/2.

السّلطة اصطلاحا: تستعمل باختلاف مجالها التداولي، فهي تتنوع في استعمالاتها، وفي الحقيقة هي لا تتعلق بالسياسة ابتداء، بل هي علاقة بين طرفين آمر ومستجيب، لكن في الغالب تطلق على القوّة المناط بها إدارة المجتمع الإنساني، وهي من الضّروريات التي لا يستغنى عنها. وتمثل الدّولة السّلطة الأعلى التي لا تعلو أي سلطة فوقها في بلد ما، وهذا لحيازتها كل وسائل الإكراه، والرّدع، والقوّة، والإجبار لتطبيق القوانين[19] في مجتمع إنساني ما.

السّياسة لغة: وهي من فعل ساس يسوس، وتطلق على عدّة معان، كلّها تدور حول معاني التّدبير والتصرّف بما يصلح، جاء في الحديث: " كانت بنو إسرائيل تسوسهم أنبياؤهم "[20] .

السّياسة اصطلاحا: هي اسم للأحكام والتصرّفات التي تدبّر شؤون الأمّة في حكومتها وتشريعها وقضائها وفي جميع سلطاتها التنفيذية والإداريّة، وفي علاقاتها الخارجيّة التي تربطها بغيرها من الأمم، والسّلطة السياسيّة المقصودة في موضوعنا، هي تلك القوّة التي ساست أمر الأمّة ودبّرت شؤونها الدينّية والدّنيويّة، رغم ما شاب هذا الموضوع من تمايز وتداخل بين السّلطتين التي يعبر عنها ابن خلدون بـ "سياسة دينّية وسياسة عقليّة"[21]، وهذا التمايز تردّد صداه في التّجربة الإسلاميّة منذ افترق العلماء والأمراء فصاروا الأمراء غير العلماء، كما يعبر عن ذلك ابن العربي بقوله: " كان الأمراء هم العلماء... ثم فصل الله بحكمته البالغة، وقضائه السّابق، فصار العلماء فريقا والأمراء آخر"[22]، هذه الثّنائيّة السّلطوية التي تميّزت بها الحضارة الإسلاميّة، جعلتنا نسلّط الضوء على الجدليّة المذكورة عموما، وتجلياتها في بعض الشخصيات العُلمائيّة خصوصا، مثل شخصيتنا الجزائريّة المعروفة التي سنتناولها بالدرس في هذا الجانب بالذات، ولكن قبل الولوج إلى معالم ودقائق هذا العالم الفذّ، نورد إطلالة خفيفة على هذه الجدليّة الفلسفيّة والتاريخيّة الشائكة.

---

[19] الموسوعة السّياسيّة، بيروت، عبد الوهاب الكيالي، ط.3، 1990م، 315.

[20] الجامع الصحيح، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، شركة الشّهاب، 90-1991م، والجامع الصّحيح، مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل، القاهرة: دار الكتاب المصري- بيروت: دار الكتاب اللّبناني، دت، 3/1471-1472.

[21] المقدّمة، عبد الرحمان بن خلدون، ص. 177.

[22] بدائع السّلك في طبائع الملك، ابن الأزرق، تح: علي سامي النّشار، العراق: منشورات وزارة الإعلام، 77- 1978م، 391/1.

3.2 مدخل إلى فهم الجدليّة:

كانت التجربة الإسلاميّة مليئة بالأحداث التي تجلّي هذا الموضوع، ففي بداية التّجربة الإسلاميّة كانت الإمارة في العلماء باعتبار الفترة النبويّة والراشديّة، فالإمرة كانت في أهل الفقه والتّقوى والعلم، ثم شهدت التّجربة الأمويّة بعد ذلك افتراقا، وإن عدّه البعض تمايزا لا افتراقا، ينقل ابن الأزرق عن ابن العربي قوله: " كان الأمراء هم العلماء... ثم فصل الله بحكمته البالغة وقضائه السّابق فصار العلماء فريقا والأمراء آخر"، وهذا الافتراق يرجع إلى لحظة تحول الخلافة الراشدة إلى ملك[23]، ومن هنا بدأت نوع من الفجوة تحدث بين أهل العلم والدّين، وبين أهل السياسة والتّدبير، يقول وجيه كوثراني: " ثمّة ثنائيّة في السّلطة نجدها موزعة بين السلاطين والأمراء من جهة، وبين الفقهاء من جهة أخرى، صحيح أيضا أنّ هؤلاء الفقهاء لا ينتظمون جميعا في مؤسّسة تراتبيّة واحدة"[24]، ويرجع ذلك إلى انتشار الفقهاء في كل المفاصل الرسميّة والشعبية، باعتبارهم طبقة لا يستهان بها في الأمّة، ففي المجالات الرسميّة وقطاعات الدّولة كالمستشار، والقاضي، والمفتي، وإمام الجامع وغيرها من الوظائف الرسميّة، ونجدهم في مهام أخرى بعيدا عن دهاليز القصور، ومناصب الإدارة، والقضاء، كالتّربية والتعليم، وتحفيظ القرآن، وفكّ النّزاعات، والإصلاح بين النّاس وغير ذلك من المهام المجتمعيّة، هذا بالإضافة كما ذكرنا سابقا إلى مكانتهم الرّوحية باعتبارهم علماء دين وشرع، وهو ما أكسبهم سلطة علميّة هامّة[25] نافست سلطة الأمراء والسّلاطين وقد عبّر عن هاتين السّلطتين بتعبيرات كثيرة أهمّها: أهل السّيف وأهل القلم، الأمراء والفقهاء، الهيئة السّلطانيّة والهيئة الشّرعيّة، وبلغة أهل العصر، سلطة الحكم والقرار، وسلطة الثّقافة والإيديولوجيا، سلطة الدّولة وسلطة المجتمع.

---

[23] لخضر بولطيف، المرجع السابق، ص.64.

[24] الفقيه والسّلطان جدليّة الدّين والسّياسة، بيروت: دار الطليعة للطباعة والنّشر، ط.2، 2001م، ص. 5.

[25] [25] فقهاء تلمسان والسّلطة الزّيانيّة، صابرة خطيف، ص. 68.

تكمن هذه الجدليّة في محاولة فهم التقاطع بين ما هو سياسي وما هو ديني شرعي، إن صحّ هذا التقسيم وإن كنت أعتقد أن الدّين ينظم شؤون الحياة كلّها بما في ذلك الجانب السّياسي، إلا أن هناك مساحة دينيّة محضة تخضع للتقاطع مع ما هو سياسي محض كتنظيم المساجد، والمدارس، والقضاء، والأمر بالمعروف، والنّهي عن المنكر والفتيا وغيرها.

كما أنّ السّلط تتداخل في بعضها وتتكامل، رغم محاولة كلّ منها السيطرة على الآخر، كنتيجة حتمية للحراك التّفاعلي بينهما، فالسلطة السّياسية تريد امتلاك المعرفة والثقافة[26] لخدمة مشروعها، والسلطة الفقهية تريد امتلاك ما تستطيع من الصلاحيات، سواء بدافع شرعيّ كتقويم السّلوكات المنحرفة أو تغيير وضع خاطئ، أو بدافع طبيعي ألا هو التمكين لمشروع فئوي.

مما أدى بهذا التّجاذب والتّفاعل والتّدافع أن يشهد كل صوره، من أقصى التواؤم والتشارك والمرافقة، إلى أقصاه الآخر كالتّصادم، فيتحول من معركة حدود إلى معركة وجود بين الطرفين، إلا أن السّلطة السّياسيّة كانت دائما ما تحسم الصراع زمنيّا، وإلا فسلطة القلم أدوم وأبقى.

ونحن هنا لسنا نحاول فك الاشتباك فلسفيّا ومعرفيّا، بقدر ما نحاول فهم هذه الثّنائية من خلال تتبع مسار التفاعل والاحتكاك لشخصيتنا محمد بن عبد الكريم المغيلي(909هـ)، الذي يعدّ من الشخصيات المحوريّة في الجزائر وفي الغرب الإسلامي عموما، نظرا لتجربته الفذّة في الواقع والتطبيق، وبتراثه المعرفي المكتوب في هذا المجال، خصوصا رسائله في السّياسة الشرعيّة اوهي وعي رسائل قيمة في بابها تضاف إلى خزانة الفكر السياسي السّني في الغرب الإسلامي.

[26] بين السلطان أبي عنان المريني والفقيه الشّريف التّلمساني، (مقال من سلسلة ندوات تاريخ المغرب، السلطة والفقهاء والمجتمع 2013م)، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة جاكعة ابن الطّفيل، 2013م، ص.103.

3. الإمام المغيلي وعصره:

1.3 نبذة عن حياة الإمام المغيلي:

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي ينتسب إلى قبيلة مغيلة، بالقرب من تلمسان ولد في مطلع القرن التاسع الهجري على اختلاف في تحديد سنة المولد بين 821هـ و842هـ[27]، هو"الشيخ الفقيه الصدر الأوحد، كان من أكابر العلماء، وأفاضل الأتقياء"[28]، كان الشيخ المغيلي صاحب عقل، وذكاء حادّ، فهو" أحد أذكياء العالم، وأفراد العلماء الذين أُوتوا بسطة في العلم، والتقدّم، والنّسبة في الدّين"[29]، يقول عنه أحمد بابا التنبكتي: "خاتمة المحققين، الإمام العالم، الفهامة، القدوة، الصالح، السّني، أحد الأذكياء، ممن له بسطة في الفهم والتّقدم، متمكن المحبّة في السّنة، وبغض أعداء الدّين"[30]، نشأ وترعرع بتلمسان، فحفظ القرآن الكريم في صغره على يد الشيخ محمد بن أحمد بن عيسى المغيلي الشهير بالجلاب، وتلقى العلوم الشرعيّة واللّغوية فتمكن من المعقولات والمنقولات، اشتهر بذكائه الحادّ، وهمته العالية، رحل في طلب العلم إلى الجزائر ، وبجاية، وتوات، وفاس، فأخذ عن كبار شيوخها، فقد كان يتردّد على أكابر أهل العلم في زمانه، منهم شيخه المذكور آنفا الجلاب، الذي حفظ على يديه القرآن كاملا، وقرأ عليه كتب الفقه، كالرسالة، وخليل، وابن الحاجب، وابن يونس، وأخذ الحديث عن سعيد المقري، وعلوم العربية عن يحي بن ايدر(877هـ)، والتصوف والتفسير والقرءات عن عبد الرحمان الثعالبي(875هـ)، وغيرهم كالشيخ موسى بن يحي المغيلي المازوني(883هـ)، والشّيخ الحافظ التّنسي(899هـ)، وابن مرزوق الكفيف(901هـ)، والشيخ محمد بن أحمد بن مرزوق(842هـ)، والشيخ أحمد بن يحي الونشريسي(914هـ)، والشيخ إبراهيم التّازي(866هـ)، والشيخ محمد بن يوسف

---

[27] الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مقدّم مبروك، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م، 25/1.

[28] دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر، تح: محمد حجي، الرباط: دار المغرب، 1977م، ص.130.

[29] البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم، الجزائر: المطبعة الثعالبيّة، 1908م، ص.253.

[30] نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التّنبكتي، طرابلس: منشورات دار الكتاب، ط.2، 2000م، ص 576.

السّنوسي(895هـ)، وعلماء كثر لا يمكن حصرهم نظرا لكثرة ترحاله في الطلب، كما تخرّج على يديه العديد من العلماء الأجلاء وهم بالآلاف، في تلمسان، وتوات، وغرب إفريقيا جنوب الصحراء، أشهرهم عمر بن الشيخ بن احمد البكاي بن محمد الكنتي بن علي(و.865هـ)، وهو الذي التقى معه بالشيخ العلاّمة السيوطي(911هـ)، ومن تلامذته أيضا محمد بن عبد الجبار الفجيجي(956هـ)، وإبراهيم بن عبد الجبار الفجيجي(954هـ)، والشيخ العاقب بن عبد الله الأنصمني المسوفي من أهل أكدر (كان حيا 950هـ)، والشيخ محمد بن احمد بن أبي محمد التاذختي(936هـ) وغيرهم[31].

كان المغيلي موسوعيُ الثقافة، غزير العلم، شديد الشكيمة، حادّ الذّكاء قوّالا للحقّ، لا يخاف في الله لومة لائم، ويمكن اعتبار دخوله توات المنعرج الحاسم في حياته[32]، وذلك لما حلّ بتوات وجد أعدادا كبيرة من اليهود قد استقرت هناك، خاصة بعد سقوط الأندلس، فسيطروا على التّجارة والزّراعة، وأصبحوا أصحاب سلطة، ومال، ونفوذ، وأصبحت لهم اليد الطولى عند أصحاب القرار في توات، فبنوا المعابد، وسيطروا على طرق التجارة وأسواقها، وأصبحوا يسيّرون حياة التواتيين، مما جعل المغيلي ينتفض ضدهم، ليدخل معهم في حرب شعواء، وقد حدثت وأحداث مهمّة سنذكرها بالتفصيل في المباحث اللاحقة بإذن الله.

كان العلامة المغيلي كثير الرحلة، فقد دخل بلاد أهر وتكدة، واجتمع بصاحبها وانتفع به خلق كثير، ودخل كنو وكشن واجتمع بصاحبها، وكتب له رسالة في أمور السياسة والسلطنة، ودخل بلاد التكرور ووصل إلى كاغو، واجتمع بصاحبها الأسقيا محمد الحاج، وكتبه له رسالة يجيبه فيها على أسئلة تخصّ أمور السياسة وفق أحكام وقواعد الشرع الإسلامي[33]، كما له عدة سجالات وحوارات ومناظرات علميّة مع أقرانه، مثل السّيوطي والسّنوسي وغيرهم.

---

[31] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدّينيّة والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلاميّة، 2011م، 2/ 368.

[32] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، المرجع السابق، 346/2.

[33] نيل الابتهاج، أحمد بابا، المصدر السّابق، ص.577.

خلّف الشيخ المغيلي الكثير من المؤلفات في شتى العلوم والفنون، في التّفسير، والحديث، والفقه، واللغة، والسّياسة الشرعية، منها ما حقّق واعتُني به، ومنها ما يحتاج مزيدا من العناية والتدقيق، تحقيقا، وشرحا، وتحليلا، واستنباطا، ففيها مادة دسمة للكثير من الباحثين الجادّين وأهمّ مؤلفاته:

- البدر المنير في علوم التفسير.
- الأربعون المغيليّة، أربعون حديثا.
- تفسير سورة الفاتحة.
- مصباح الأرواح في أصول الفلاح.
- مغني النبيل شرح مختصر خليل.
- إكليل مغني النبيل حاشية على مختصر خليل.
- رسالة في البيوع شملها (مفتاح الكنوز).
- إيضاح السبيل في بيوع آجال خليل.
- شرح بيوع الآجال.
- رسالة في المنهيات.
- مفتاح النّظر في علم الحديث.
- شرح جمل الخرنجي في المنطق.
- رسالتان في المنطق.
- منهج الوهاب (وبه منظومة في علم المنطق) .
- مقدّمة في العربيّة.
- قصيدة ميميّة في مدح الرسول ﷺ.
- مكر الملبسين بدعوى مقامات العارفين.

كتاب الفتح المبين.

- رسالة إلى أمراء كانو.
- أجوبة على أسئلة الأسقيا محمد صاحب السنغاي.

وغيرها من المؤلفات النافعة التي أثرى بها الخزانة العربية والإسلامية والتي كما ذكرنا فإن البعض منها لا تزال

توفي محمد المغيلي سنة 909هـ بتوات ببلدية زاوية كونتة بأدرار، ويروى أن يهوديا جاء إلى قبره فبال عليه فعمى من فعله[34]. فرحمة الله عليه.

2.3 عصر الإمام المغيلي:

لقد كان عصر المغيلي عصر ضعف وانحطاط، ففي زمنه شهدت الأندلس آخر أيامها، بعد عصور طويلة من القوة والازدهار، كما عاصر المغيلي أواخر أيام الزيانيين بتلمسان، وفي توات شهد توغل اليهود وسيطرتهم على مفاصل السلطة هناك، فاشتروا ذمم المسؤولين، وسيطروا على المدن، والطرق التجاريّة، وأهم التّجارات والحرف.

أمّا في السّودان الغربي، فقد عاصر الإمام المغيلي أشهر سلاطين آل سُني وهو السلطان سُني علي (868هـ – 897هـ)، الذي يعدّ المؤسس الحقيقي لمملكة السنغاي، والذي رغم شهرته وانتصاراته الكثيرة وقوة جيشه الكبيرة، إلا أن علاقته بالعلماء والفقهاء تميزت بالجفاء والعداء، يقول صحاب تاريخ السودان: "كان ذا قوة عظيمة، ومتنة جسميّة، ظالما، فاسقا، متعديا، متسلطا سفّاكا للدّماء، قتل من الخلق مالا يحصيه إلا الله تعالى، وتسلّط على العلماء والصالحين بالقتل والإهانة والإذلال"[35]، فانقلب الأسقيا الحاج محمد الكبير سنة (898هـ) على حكم آل سُني، وذلك بتأييد كبير من العلماء والفقهاء، الذين ساندوا ودعموا هذه الخطوة لما لقوه من تنكيل وحصار وتشديد عليهم زمن السُني علي، فتحولت العلاقة في عهد الأسقيا بين الفقهاء والسلطة إلى علاقة احترام، وتقدير،

[34] نيل الابتهاج، أحمد بابا، المصدر السّابق، ص.577.

[35] تاريخ السّودان، عبد الرحمان السعدي، باريس: باريس المكتبة الأمريكيّة والشّرقيّة، 1981م، ص. 64.

وتقارب ملحوظ بين الطرفين، يقول محمد الصغير الافراني عن الأسقيا: "كان الحاج محمد المذكور، سهل الحجاب، رقيق القلب، خافض الجناح، شديد التّعظيم لأئمة الدّين، محبّا للعلماء، مكرما لهم غاية الإكرام، يفسح لهم في المجلس، ويوسع عليهم العطاء"، قام الأسقيا بعدّة إصلاحات إدارية، وسياسية، واقتصادية، وله رحلة إلى الحج سنة 1496م، وهي رحلة شهيرة دعّم بها أسس ملكه، فازدهرت السّنغاي في عصره، وتوسعت علاقات السّودان الغربي مع بلدان المغرب العربي ومصر، وكانت هناك مراسلات وزيارات ورحلات للعلماء ومنهم الإمام المغيلي، الّذي كان له حوار مع الاسقيا نفسه في أسئلة يجيب عنها المغيلي.

أمّا الحياة العلميّة والثقافيّة، فرغم الانحطاط والضعف السّياسي إلا أنّه كانت هناك حركة فكريّة ونشاط علميّا ملحوظا، خاصة في توات، والسودان الغربي، وهي الأماكن الذي نشهد فيها تفاعلا للشيخ المغيلي، خاصة زمن الأسقيا محمد الكبير، يقول السّعدي في تاريخه: " اجتهد بإقامة ملّة الإسلام، وإصلاح أمور الأنام، وصاحب العلماء واستفتاهم فيما يلزمه من أمر الحل والعقد"[36]، كما أسهمت الرحلة العلميّة، والحجّية، في التلاقح بين البلدان ونشطت الدّرس العلمي والشرعي، مثل رحلات المغيلي، وعبد الرحمان سقين، وعائلة آل أقيت، ومخلوف بن علي بن صالح البلبالي وغيرهم.

هذه بعض الملامح فقط للعصر الذي عاش فيه فقيهنا المغيلي، والذي يعدّ جزء من تكوينه، إذ الإنسان ابن بيئته وعصره، فتفاعل المغيلي مع هذه التحولات التي نستطيع أن نقول أنّها كانت مرحلة مضطربة كثيرا، فقد أسهمت في رسم تلك المساحة التي نريد أن نستشفّ معالمها من خلال تفاعلات المغيلي مع السلطة السياسية والتي نتناولها في المباحث الآتية.

[36] نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الإفراني، أنجي (فرنسا): مطبعة بردين، 1888م، ص. 90.

4. المغيلي ونازلة يهود توات:

إنّ أهمّ محطات فهم التقاطعات الشرعيّة والسّياسيّة في فكر الإمام المغيلي هي قضية يهود توات، بل هي أهمّ مراحل فكره السّياسي والإصلاحي.

لما حل الإمام المغيلي بتوات وجدها مهملة، يقتصر الحكم فيها على شيوخ قبائلها، بل كما يقول عنها "رعيّة سائبة"[37]، فلا شيخ يجمعهم ولا أمير يردعهم، وهذا ردّ على مزاعم الوطّاسيين، فتوات لم تكن تابعة لأي سلطة مركزيّة تحكمها يومئذ، كما أنّ تكاثر اليهود فيها كان ملحوظا، خاصة بعد سقوط مملكة غرناطة، فانتشروا في مدن المغرب وقراه في عهد السّعديّين، كما انتشروا في تخوم الصحراء وخاصّة الطرق التجارية ومعابر الذهب، باعتبار أن بلاد السودان الغربي وجنوب الصحراء كانت فيها تجارة الذهب[38]، والفضة، والملح رائجة، فاشتغل اليهود بالتجارة وصياغة حليّ، وضرب السّكة، ولعبوا أدوارا مهمة في تنشيط المرافئ التجاريّة، فأصبحوا أصحاب نفوذ مجتمعيّ وسياسيّ في بلاد توات، وأصبحت حياتهم في سلم خاصة في ظل الرؤساء الذين كانوا يدافعون عنهم، ولهذا تمتعوا بحياة سهلة، وتسير هناك التجارة بواسطتهم ويضع الكثيرون منهم ثقتهم فيهم، حتى أن بعض رؤساء القبائل شجع على بناء بيعة كبيرة تجاوزت الحد المسموح به[39]، بل تجاوزت مساحتها حتى مساحة المساجد، وكانوا قد بنوا بيعا كثيرة، في المدن والقرى والواحات، حتى بدت توات كأنّها مملكة يهوديّة، فما كان على الإمام المغيلي إلا أن يتحرك لوضع حدّ لهذه السيطرة التي تجاوزت أيضا حدّ أهل الذّمة، وما يسمح لهم في حدود قوانين الشّرع الإسلامي، وقد استعمل المغيلي الجانب العلمي والنظري في مواجهة هذا الخطر الدّاهم على أرض الإسلام، كما تحرك واقعيا بمواجهتهم ميدانيا رفقة أنصاره في أحداث عسكريّة شهدتها توات وضواحيها يومها.

---

[37] الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، أحمد الحمدي، الجزائر: مكتبة الرشاد للنشر والطباعة والتوزيع، ط.1، 212م، ص.227.

[38] انظر: تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، بوفيل، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ط.2، 1988م.

[39] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر، عبد القادر زبادية، المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، 13-14 شعبان/03-04 ماي 1985م، ص211-212.

– المرحلة الأولى (السجال العلمي):

ولعلّ أهم رسالة تركها الشيخ المغيلي كمادّة لفهم حيثيات هذا الصّراع هي رسالته الشّهيرة "**مصباح الأرواح في أصول الفلاح**" شرح في فصلها الأول، ما يجب على كل مسلم ومسلمة من مجافاة اليهود، يقول فيها: " الحاصل أنه لا يقرّب كافرا –يهوديا– من نفسه، أو عياله، أو يستعمله في أعماله، أو يجعل بيده شيئا من ماله، إلا من لا دين له، ولا عقل، ولا مروءة"[40]، أما الفصل الثاني فقد ناقش فيه ما يجب على أهل الذّمة من الجزية والصّغار، كما شرح فيها أحكام الجزية، ونبّه فيها عن منعهم من استحداث الكنائس قائلا: "لا يمكّنون من إحداث كنيسة في شيء من بلاد المسلمين، وإن أعطوا ملء الأرض ذهبا، ولا يستدل في هذا الزمن الكثير الشرّ بعمل الأمصار، سكوت العلماء الأخيار، لأن الأمر اليوم ومن قبله بكثير ،بيد أرباب الهوى لا بيد أرباب التقوى"[41]، أمّا في الفصل الثالث فقد تحدث فيه عن إخلال اليهود بعهدهم، وعدم القيام بشروط إقامتهم بدار الإسلام، كطغيانهم وتمردهم على أحكام الشّريعة وأركانها، واستهزائهم بها، وعنون لهذا الفصل بقوله: "فيما عليه يهود هذا الزمان في أكثر البلاد والأوطان، من الجرأة والطغيان، والتّمرّد على الأحكام الشرعيّة والأركان، بتولية أرباب الشّوكة والسّلطان"[42]، وهو يقصد يهود توات، وتافيلالت، وتيكورارين، وغيرهم من اليهود المقيمين بأرض الغرب الإسلامي، ثم ذكر بعد ذلك أنّهم لم يصبحوا أهل ذمة، بل تجاوزهم أسقط عنهم حقوقهم، فقال: "وقد حلّت دماؤهم، وأموالهم، وأولادهم، ونساؤهم"[43]، يرى المغيلي أنّ التّقرّب وخدمة أرباب الشوكة من المسؤولين مناف لشرط الذّمة، ومانع من بقائها، يقول: "فكل يهودي تعلق بخدمة سلطان أو وزير، أو قاض، أو كبير ، فقد انتقض عهده، وحلّ ماله، ودمه، لأن خدمة أرباب الشّوكة مناقض لشروط

[40] رسالتان في أهل الذمّة، الرسالة الأولى: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، تح: عبد المجيد الخيالي، بيروت–لبنان: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلميّة، ط.1، 2001م، ص23.

[41] المصدر نفسه، ص39.

[42] المصدر نفسه، ص 22.

[43] المصدر نفسه، ص 40.

الذّمة من الصّغار والذّلة"[44]، ولم يكتف المغيلي بإصدار فتاويه وتوجيهاته لعموم المسلمين في توات، بل راسل العلماء في تلمسان، وتونس، والمغرب يستفتيهم في المسألة حتى يكون لرأيه مستند شرعيّ، ويصنع رأي عام علمائي من شتى الحواضر، جاء في نص سؤاله: "ما تقولون وفّقكم الله في مسألة تيمنطيطت مدينة توات، أحيا المسلمون أرضها بإخراج مياهها، وغرس نخلها، وبناء قصورها مدة، ثم قدم عليهم اليهود ونزلوا عليهم في المدينة المذكورة، وأحدثوا فيها كنيسة لإقامة دينهم، وأقاموا على ذل مدّة، إلى الآن، فهل تهدم الكنيسة، وإن ملكوا أرضها قبل بنائها بشراء من المسلمين أو غيره؟، أو لا تهدم؟، أفتونا في ذلك بجواب صريح، ولكم الأجر ،فإن المسلمين في حيرة من هذه المسألة، فإن كان الحق هدمهما هدموها بلا فتنة ولا اختلاف، وإن كان الحقّ إبقاءها أبقوها بلا فتنة"[45]، فاختلفت آراء الفقهاء وإجاباتهم على هذه النازلة، وافترقوا إلى رأيين منهم المؤيّد، ومنهم المعارض.

عارض الشيخ المغيلي طائفة من الفقهاء، وعلى رأس من عارضه قاض توات عبد الله بن أبي بكر العصنوني الذي هو بدوره أيضا راسل الفقهاء في الأمصار جرّاء هذه النّازلة معترضا على فتاوى المغيلي وتحركاته في توات ضدّ اليهود، مستشهدا بأن كثير من العلماء "قد شاهدوا الكنائس فيها وهم ممن يمتثلوا قولهم في الأحيان، وقد أنكروا أشياء على أهل الذّمة وعلى غلاء فيهم، ولم ينكروا الكنائس ما أنكروا"[46]، وقد حدث سجال بين المغيلي والعصنوني وصل إلى حدّ القدح والاتهام[47]، كما يعتبر أيضا فقيه تلمسان ومفتيها أبو العباس أحمد بن محمد بن زكري أحد أهمّ من عارض هدم الكنائس قائلا: "هدم الكنائس الموصوفة ظلم لأهل الذّمة، وظلم أهل الذّمة لا يجوز شرعا"[48]، نفس الموقف اتخذه القاضي يحي بن أبي البركات قائلا: "لا خفاء أنّ من معه أدنى مسكة من العقل فضلا عمن اتّصف بالعلم

---

[44] رسالتان في أهل الذمّة، المغيلي، المصدر السابق، ص. 44.

[45] المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحي الونشريسي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م، 2/235-236.

[46] المصدر نفسه، 2/214.

[47] أنظر: مصباح الأرواح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، المصدر السّابق.

[48] المعيار المعرب، الونشريسي، المصدر السابق، 2/ 219.

إن تدبّر الأوصاف المسطرة فوقه، التي أحدها يقوم مقام جميعها، يقول بهدم الكنائس المذكورة ولا يفوه به"[49].

كما أيّد المغيلي طائفة من العلماء والفقهاء أيضا، أهمهم كبير علماء تلمسان أبو عبد الله محمد بن يوسف الّسنوسي، ومفتي تونس الرّصاع، والشيخ أبو عبد الله بن غازي، وعيسى بن أحمد الماوسي، وأبي عبد الله محمد بن عبد الجليل التنسي، وأحمد الونشريسي صاحب المعيار [50]،الذي ذكر إجماع المالكيّة على وجوب هدم الكنائس المحدثة في بلاد الإسلام، سواء مما مصّر أو فتح عنوة، وعدم جواز ما صُولحوا عليه من البلدان[51]، ويبدو أن المغيلي كان مصرّا على المضي في محاربة اليهود، لما في ذلك من الخطر على مصالح المسلمين، ولما فيه أيضا من الخروج على شروط الذّمة، والمغيلي كان من العلماء الذين يستشرفون مآلات الفعل السياسي الخطير على المستوى الديني والاقتصادي، إذ أنّ اليهود كانوا قد توغلوا في القصر الوطّاسي أيضا وتواطؤا مع العديد من المسؤولين هناك، فما "إن وصل إلى المغيلي جواب التنسي، ومعه جواب السنوسي، حتى أمر جماعته فلبسوا آلات الحرب، وقصدوا كنائسهم، وأمرهم بقتل من عارضهم دونها فهدموها"[52]، وهنا قد دخل المغيلي مرحلة أخرى من مراحله نضاله ضد اليهود ومن مشى معهم من الغلائف (رؤساء القبائل).

[49] المعيار المعرب، الونشريسي، المصدر السابق، 2/ 229.

[50] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، المرجع السابق، 2/435-442.

[51] المعيار المعرب، الونشريسي، المصدر السابق، 2/232-240.

[52] رسالتان في أهل الذّمّة، المغيلي، المصدر السابق، ص 48.

– المرحلة الثانية(السلطة المغيلية):

بدأ المغيلي ثورته ضدّ اليهود فعليا سنة 882هـ، خاصّة بعد تلقيه دعم العلماء الموالين لرأيه، كما أنه انتقل إلى فاس وحدثت له حادثة مع حاكمها ابن أبي زكريا الوطّاسي، فجعلت المغيلي يصرّ على موقفه فأسّس إمارة مستقلة في إقليم توات، ويرجع ذلك لعدة أسباب أهمها، أنّ توات كانت أرضا سائبة[53] ولم تكن خاضعة لأي سلطة يومها، كما أن الفساد الاجتماعي استشرى بين أهلها، بالإضافة إلى سيطرة اليهود وتمكّنهم من بسط نفوذهم على المنطقة، إضافة إلى أسباب أخرى كاستهزائهم بالدّين، وإهانتهم للمسلمين، وقد رويت بعض الروايات أن بعض اليهود كانوا يتعرضون للمسلمات بالتحرش، كما عثر على أحد اليهود يرمي البول عليهم أثناء دخولهم المسجد، وغيرها من الأسباب التي جعلت المغيلي ينطلق في حملته، والتي بدأت بهدم البِيع والكنائس اليهوديّة، وكسر شوكة اليهود، وجعل من رحلته للقصر الوطّاسي بدايةً لكسب التأييد، ولكن اتّهم في القصر الوطاسي بأنّه صاحب طموح سياسي، وأنّه يريد الإمارة لنفسه، حيث قال له السلطان الوطاسي بعد حوار دار بينهما: "إنما أنت عاول على هذه الديار ،يعني دار الملك" فردّ المغيلي قائلا: "والله ماهي عندي إلا هي والكنيف سيان، ثم خرج عنه ولم يعد إليه"[54]، فكللت سفريّة فاس بالفشل، ولكن تبقى هناك أسئلة تحتاج مزيدا من البحث، وهي أنه مباشرة بعد العودة من فاس أسّس المغيلي إمارته في بوعلي، فهل كان السّلطان الوطّاسي محقّا في دعواه؟، ثمّ لماذا ترك المغيلي بعد ذلك تلك الإمارة متجها في رحلة علميّة ودعوية إلى السودان الغربي، فلو كان السّلطان الوطّاسي محقّا في دعواه، فلماذا يترك المغيلي مملكته بعد سنوات قليلة من تأسيسها؟.

رحل المغيلي إلى السودان الغربي في السنوات الأولى من تأسيس إمارته الفتيّة بغية الدعوة إلى الله وإصلاح العقائد والسّلوكات المنحرفة، ونشر العلم والقيم الإسلاميّة، هذا الظاهر من رحلته، ممّا يجعلنا نتساءل هل كانت رحلة المغيلي تحمل بعدا سياسيا خفيا؟ وإن كانت حقيقة هناك دوافع سياسية فما المانع من ذلك؟.

---

[53] الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، أحمد الحمدي، المرجع السابق، ص. 227.

[54] دوحة الناشر، ابن عسكر، المصدر السابق، ص.131.

ترك المغيلي ابنه محمد الملقّب بعبد الجبار أميرا على الإمارة محملا بأعباء كبيرة داخليا وخارجيّا، داخليا القبائل التي فقدت امتيازاتها، واليهود الغاضبين الذين كسر المغيلي شوكتهم، وهدم معابدهم، أهدر دماءهم، أمّا خارجيّا فتعدّ السلطة الوطاسيّة واليهود بفاس أهم أعداء الدولة الفتيّة التي أسسها المغيلي، وقد قاموا بشنّ حملة دعائية كبيرة ضدّها، وألبوا عليه الساكنة هناك، وأوقف اليهود تجاراتهم حتى تضطرب الحياة الاقتصادية، ودعّموا القبائل المناهضة لهم، فانتهت الأحداث بمقتل ابنه عبد الجبار سنة 899هـ، وذلك نتيجة مؤامرة من اليهود والدولة الوطاسيّة والقبائل المشاركة في هذا الحلف.

عاد المغيلي إلى توات بعد رحلة دامت خمسة عشر سنة مليئة بالأحداث والوقائع، فوجد اليهود قد عادوا إلى سيطرتهم ومكرهم، وكان الذي أعانهم على ذلك داخليّا الشيخ عمر بن عبد الرحمان(933هـ)، وحلف القبائل المشكل من أولاد علي بن موسى، وقبيلة أولاد نسلام، وأولاد الحاج، وأولاد ملوك، حاول المغيلي إصلاح الوضع وإعادة لم الشمل وتشكيل حلف من القبائل، أهم القبائل فيه أولاد أمحمد والبرامكة، فزحف على القصور المجاورة لتمنطيطت، ووقعت بين جيش المغيلي وجيش عمر بن عبد الرحمان ملحمة عظيمة، انتهت بانهزام الشيخ المغيلي، وانتهاء تجربة دولته الفتية، وتعيين الشيخ عمر بن عبد الرحمان نقيبا على توات مباشرة بعد تصدّيه للحملة المغيلية الثانية على اليهود ومن شايعهم، وذلك في بداية القرن العاشر الهجري 903هـ، وتعدّ "تجربة المغيلي السياسية على قصرها وزهد صاحبها في الجاه والنّفوذ، عجّلت بوأد مشروع إمارة سياسية ودينيّة تواتيّة، كان من المتوقّع أن يكون لها شأن عظيم في الحواضر السّودانيّة، وامتداد ديني مذهبي أكثر مما هو سائد الآن في الأقاليم الإفريقيّة"[55]، بقي الشيخ المغيلي في قريته بزاوية بوعلي إلى أن وافته المنيّة سنة 909هـ[56]، ويروي التنبكتي أن اليهود فرحوا بموته لدرجة أنّ أحدهم بال على قبره[57] نكاية بما فعله فيهم.

[55] الفكر الإصلاحي والدّعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الجزائر: عالم المعرفة، 2013م، ص.278.

[56] نيل الابتهاج، التنبكتي، المصدر السابق، ص.577.

فلا يمكن الاستهانة بهذه القضايا التي تعالج دور الجاليات والأقليّات[58]، خاصة – اليهود– وما يعرف عنهم وعن معتقداتهم الخطيرة وعن توغلهم في المجتمعات لبسط سيطرتهم، وخدمة مصالحهم الضيقة، وقد كان المغيلي من بين أهم الشخصيات التّاريخية التي تفطّنت لهذا الخطر فرحمة الله عليه.

5. المغيلي والسلطة السّياسيّة في السّودان الغربي:

كان الإمام المغيلي يمثل دور العالم المتفحص لمشكلات زمانه، الفاهم لسنن التمكن والضعف، المدرك لتقلبات الأمم والأجيال، غير مقتصر على الاجتهاد في الفقه، والمواريث، والتكلم في مسائل العقيدة، والتصوف، بل خاض في مسائل السياسة الشرعية، من منطق المصلح، الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر، وذلك بعد تجربة مهّمة في الرّحلة بين الدّول المختلفة، والدّخول على القصور، ومشاهدة أحوال المجتمعات، وما حدث في توات خير دليل على ثراء تجربة الفقيه المغيلي.

ترك المغيلي توات في بدايات تأسيس إمارته الفتيّة، متجها نحو السّودان الغربي، ناصحا، وموجّها، وداعية إلى الله، فشهدت هذه الرّحلة عدّة مراحل ومحطات تفيدنا في قضيتنا التي نبحث فيها من خلال شخصية الإمام المغيلي، ألا وهي التفاعلات مع الشّأن العام، وبالخصوص مع السّلَط السياسيّة، وما يمكن الوقوف عليه بالخصوص ما تركه لنا الإمام المغيلي من تراث في الفقه السّياسي يخص حوارات وردود على تساؤلات الملوك والسلاطين في السودان الغربي (إمارة كانو، ومملكة السنغاي).

---

[57] نيل الابتهاج، التنبكتي، المصدر السابق، ص.577.

[58] الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي وفجر التغييرات في القرن التاسع الهجري، محمد الأمين بلغيث، أعمال ملتقى دولي بتلمسان بعنوان: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي فقه السياسة والحوار الدّيني، الجزائر–تلمسان: منشورات وزارة الشؤون الدّينيّة والأوقاف، 12–13 ربيع الأول 1433هـ/ 05–06 فيفري 2012م، ص.23

– قراءة في رسائل المغيلي إلى أمير مملكة كانو:

اتّجه المغيلي إلى مملكة كانو داعية، ومصلحا، ومبلغا لما فتح الله عليه من العلوم والفنون، دخل تكدة وكشن واجتمع بصحبها ولم يذكر صاحب النيل أمير المملكة[59]، لكن الراجح أنه محمّد بن يعقوب رمفا، الذي حكم مملكة كانو من 867هـ إلى 904هـ[60]، ومعلوم أنّ المغيلي في نهاية هذا التاريخ كان قد عاد إلى توات، وجرت معركته مع الشيخ عمر بن عبد الرحمان في هذا التاريخ، وهذا يعني أن المغيلي كان قد رجع إلى توات مع نهاية حقبة محمد بن يعقوب رمفا.

ومن جملة ما ترك المغيلي في حواره مع الأمير محمد بن يعقوب رمفا رسالته المسماة "**تاج الدين فيما يجب على الملوك والسلاطين**"[61]، ووصيةً أخرى بعثها له الإمام المغيلي حملت عنوان "**فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام**"[62].

أ– تاج الدين فيما يجب على الملوك والسّلاطين: تتكون هذه الرسالة من ثلاثة أقسام، مقدمة، ونصائح وتوجيهات مبوبة في ثمانية أبواب، ثم خاتمة.

جاء في المقدمة تذكير بثقل مسؤولية الحاكم أمام الله لأنّ " الإمارة خلافة من الله، ونيابة عن رسول الله ﷺ، فما أعظم فضلها، وما أثقل حملها"[63]، وما تتطلبه من عدل واستقامة، قائلا: "إن عَدَلَ الأمير ذبحته التقوى بقطع أوداج الهوى، وإن جار ذبحه الهوى بقطع أوداج التقوى"[64]، ثم ذكّره باليوم الذي سيعرض فيه على الملك الدّيّان عزّ وجلّ.

---

[59] نيل الابتهاج، التنبكتي، المصدر السّابق، ص.577.

[60] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، المرجع السابق، 460/2.

[61] انظر: تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، تح: محمد خير رمضان يوسف، لبنان– بيروت: دار ابن حزم، ط.1، 1994م.

[62] فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ملحق بكتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، 1968م.

[63] تاج الدّين، المغيلي، المصدر السابق، ص. 15.

[64] المصدر نفسه، ص. 16.

ثم بدأ المغيلي بنصائحه وتوجيهاته، ففي الباب الأول ذكّر فيه الأمير بما يجب عليه من حسن النّية والقصد، فالإمارة ليست تشريفا، بل تكليف من الله، والعاقل من ابتعد عنها وفرّ منها، لكن من قدر ها الله له فليعلم أنه لم يتولاها ليكون سيّدا، بل ليخدم مصالح النّاس في دينهم ودنياهم[65]، وفي الباب الثاني ذكر ما يجب على الأمير من حسن الهيئة، مذكّرا إياه بنصائح القال والحال، في الظاهر والباطن، ليكون ذا هيبة بلا تكبر ،وذا حزم بلا ظلم، وفي الباب الثّالث تكلّم عن ترتيب نظام المملكة في السكون والحركة، وما تحتاجه مؤسسات الدولة من موظفين أصحاب كفاءة وخلق وإخلاص، من أمناء، وكتّاب، ورسل، وحفظة، وعلماء، وأئمة، ووزراء، وقضاة، وأرباب شرطة، ومحتسبون[66]، وما تتطلبه الممالك من استعداد دائم للحرب والقتال، وذلك بتحصين الجبهة الداخليّة، والاستعداد الدّائم للخطر الخارجي، وأن يكون ذلك بالعدل، والإنصاف، والرقابة على العمال والموظفين، وفي الباب الرابع تكلم عمّا يجب على الأمير من الحذر بالحضر والسفر، قائلا: "فالإمارة جنتها الحذر، فأظهر القوة والجلد، والزهد في الصحابة والولد، والرغبة في الأبطال والعدد"[67]، وما تتطلبه الإمارة من شجاعة وإقدام على الغزو، فمن لا يَغز يُغز، وهذه حقيقة تاريخيّة ثابتة لا ينكرها أحد، أما الباب الخامس فذكر فيه ما يجب على الأمير من الكشف عن الأمور، وهي أمور يجب عليه متابعتها وكشفها، والتنقيب عنها بالمقدور، فلا يغفل عن عمّاله، ولا عن موظّفيه ولا عن جُسَّاسه، فإن داء الملك وذهاب السلطنة الغفلة عن هذه الأمور، وذكر في الباب السادس أمر العدل فالعدل أساس الملك، والعدل كما يقول المغيلي أحد الرّجلين في الملك يقول: "للسلطنة رجلان: العدل، والإحسان"[68]، والعدل في نظره أن يوفى كل ذي حقّ حقّه من نفسه وغيره، والإحسان أن يتفضّل من نفسه لا من غيره، ثم ذكر ما يجب على القاضي من تحقيق العدل حتى في دقائق الأمور، كالنظر، والكلام، والمحاورة، وسماع الشهود وغيرها

[65] تاج الدّين، المغيلي، المصدر السابق، ص. 18.

[66] المصدر نفسه، ص. 25-27.

[67] المصدر نفسه، ص. 29.

[68] المصدر نفسه، ص. 41.

"حتى يجد طريقا إلى العلم بأحكام التوازن وتمييز الحق من الباطل"[69]، أمّا البابان الأخيران فتركهما للتكلم في المسائل المالية بقسميها، من جباية المال الحلال من موارده الجائزة، مع التنبيه على المنهيات والمحرمات منها، وفيما يصرف هذا المال الذي يسمّيه المغيلي "مال الله"[70]، لقد وقف المغيلي في نصائحه "موقف الناقد الناقم، والنّاصح المرشد، وليس موقف الطامع في مال، أو الباحث عن لقمة، أو جاه"[71]، ثم ختم كلامه بخاتمة خفيفة، فيها الصلاة على النبي ﷺ والدعاء للمسلمين.

والذي يظهر من تبويب الرسالة وتقسيمها بهذا الشكل مع دقتها واختصارها وحصرها في ما يجب فيه على الأمير، أنها مجموعة أسئلة وردت على الأمام المغيلي من الأمير محمد بن يعقوب رمفا، كما يظهر عليها أيضا لغة الوعظ والتذكير والتخويف بالمسؤوليّة، وذلك شأن العلماء النّاصحين المدركين لحجم المسؤولية الملقاة عليهم تجاه النّصح لأئمة المسلمين وعامّتهم.

– وصية المغيلي إلى أمير مملكة كانو (فيما يجوز للحكّام في ردع النّاس عن الحرام)[72]:

وجاءت هذه الوصية في محمل الجواب عن سؤال الأمير محمد بن يعقوب رمفا، الذي بعث للإمام المغيلي رسالة في حدود سنة 897هـ، يسأله فيها عمّا يجوز للحكام فعله لردع الناس عن الوقوع في المحرمات، ومجمل ما جاء في هذه الرسالة القصيرة التي كانت مختصرة ومعتصرة من غير إخلال بما يتوجب النّصح فيه، ذكر فيها سد جميع ذرائع الوقوع في المحرمات مع عقاب من يسوء أدبه قولا وحالا وفعلا، وتطبيق المقامع الشرعيّة على الانحرافات الدنيوية، على أن يكون التطبيق فيه من العدل والإنصاف وتطبيق الموازنات في درء المفاسد

[69] الاحكام السّلطانيّة والولاية الدّينيّة، أبو الحسن الماوردي، مصر: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط.3، 1973م، ص 66.

[70] تاج الدّين، المغيلي، المصدر السّابق، ص. 54.

[71] تاريخ الجزائر الثّقافي، أبو القاسم سعد الله، الجزائر: عالم المعرفة، 205م، 59/1.

[72] فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ملحق بكتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح، المصدر السّابق.

وجلب المصالح، وخاصة في المفاسد فيما بينها، فدرء الكبرى مقدمة على من دونها، كما لا يجوز تغيرها بما هو أشنع منها أو مثلها، إلى غير ذلك من قواعد التغيير والإصلاح والسير بالناس إلى تحقيق المقاصد الشرعيّة، وحملهم على ما يصلح لهم في دينهم ودنياهم.

– قراءة في رسالة المغيلي إلى الأسقيا محمد أمير مملكة سنغاي:

بعد أن أنهى المغيلي مهمته، واطمأن على دعوته وصحّح ما يمكن تصحيحه في مملكة كانو، واصل طريقه بين الممالك للدعوة والإصلاح، وكان منهج المغيلي في الإصلاح التّقرب من الحكام الذين يبدون نية في استماع النصح، قصدا في التغيير لا كما روجت السّلطة الوطاسيّة عنه أنه كان يريد ملكا لنفسه، فقد ترك الإمارة وتوجّه جنوبا للدعوة إلى الله، كما أنه كان مقربا من عدّة سلاطين في السودان الغربي، وكان مستشارا مرحبا به في قصر مملكة كانو وقصر السنغاي، ولم يكن ذلك لأجل سلطان يريده، ولا مال يلهث خلفه، فقد كان يترك المكان الذي يمكث فيه ويواصل رحلته في الدعوة، وإنما إدراكا من المغيلي أنّ صلاح الحاكم يختصر الجهد والوقت وينشر الخير ويسرع عملية الإصلاح والنهضة.

وصل المغيلي إلى غاو في حدود سنة 1498م[73]، والتقى بصاحبها الأسقيا محمد الأول، وهو مؤسس أسرة الأساقي سنة 1493م، عرف بتوري أو سيلا، وقد عرفت فترته ازدهارا، وقوة، وتوسعا كبيرا، وكان الأسقيا يقرّب العلماء والفقهاء، وكان يعظّمهم، فقد روي عنه أنّه كان يقبّل يد القاضي محمود بن عمر أقيت (955هـ)[74]، كما عرف باستشارته للعلماء فقد كان له حوار مع جلال الدّين السيوطي أثناء رحلته للحج[75]، والذي نتناوله نحن في بحثنا هذا تلك الرسالة الشهيرة بينه وبين الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، وهي مجموعة من الأسئلة وردت من الأسقيا محمد يستفتيه في عدّة قضايا تخص السلطنة والملك، والذي يجعلنا نتساءل لماذا اختار الأسقيا المغيلي بالذات؟ هل لكونه رحالة جاب عدّة قصور من

[73] الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، المرجع السابق، 479/2.

[74] تاريخ الفتاش، محمود كعت، سوريا–دمشق: ناشرون، ط.1، 2014م، ص.162.

[75] تاريخ السودان، السعدي، المصدر السّابق، ص. 73.

تلمسان، إلى توات، وفاس، وكانو، فهو عارف بالسياسة والشريعة معا؟، ولكن مهما كانت الإجابة، فإنها تعكس القيمة التي يحظى بها الإمام المغيلي في المجتمعات التي حلّ بها، والسلاطين الذين دخل عليهم.

ويرجح عبد القادر زبادية أن تاريخ كتابة هذه الرسالة يعود إلى سنة 1503/152[76]، والمغيلي لم يمكث أكثر من سنة واحدة في غاو، فعلى قصر فترة مكثه هناك إلا أنه كان عارفا بطبيعة الشعوب الإفريقيّة، وطبيعة ممالكها، ولهذا اكتست هذه الرسالة أهمية كبيرة فهي تلقي الضوء على الأوضاع الاجتماعيّة والسياسية[77]، كما تعطينا صورة واضحة عن أهم المشاكل والتحدّيات التي كانت تواجه مملكة السنغاي.

جاءت الرسالة مقسمّة إلى سبعة مسائل، بدأ في جوابه عن المسألة الأولى بالتذكير بتصحيح المعتقد والقصد في الملك، وهو أنّ الله هو مالك الدنيا والآخرة، وأنّ المخلوقين مملوكين مهما بلغوا من مراتب، وهي نفس النصيحة الأولى للأمير محمد بن يعقوب رمفا في رسالة تاج الدين، وهذا يبين اهتمام الشيخ بالجانب العقدي والتزكوي للنفوس والقلوب، ثم ذكره بخطورة البطانة وأنّه لابد له أن يقرّب الصّالحين النّاصحين، لا الفاسدين الذي يحققون مصالحهم على حساب مصالح الأمّة[78]، وفي المسألة الثانية سئل عن مسائل في العقيدة قد تعود على المرء بالكفر، من انحرافات وشرك، وبدع، وسحر، وكهانة، وهذا ما كان عليه الأمير السابق علي سني، فقد كان ظالما فاسقا كما ذكر السعدي[79] وغيره بل كانت بطانته لا تستطيع الصوم والصلاة خوفا منه ومن بطشه على ما ذكر عنه، فكانت الإجابة حول حكمهم، وحكم أفعالهم، وأموالهم، وأولادهم، والأراضي التي فتحوها إلى غير ذلك من المسائل التي وردت في الرسالة[80]، والمسألة الثالثة تابعة لما قبلها في حكم تلك الأموال

[76] أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، ملحق بكتاب الحضارة العربيّة والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربيّة جنوب الصحراء دراسة نصوص، عبد القادر زبادية، الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، 1989م، ص. 152.

[77] المصدر نفسه، ص. 155.

[78] المصدر نفسه، ص. 160.

[79] تاريخ السودان، السعدي، المصدر السابق، ص. 64.

[80] أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، المغيلي، المصدر السّابق، ص. 170.

والأملاك[81]، أمّا المسألة الرابعة فكانت حول حكم بعض الأمراء والسّلاطين في البلاد المجاورة، فيما لو بدر منهم ظلم وقهر وجور، فكيف يتصرف الأسقيا تجاههم، وما هو الموقف الشرعي في التعامل معهم[82]، وفي المسألة الخامسة السادسة تناولا قضايا الخراج ومصارفه[83]، أما في السّابعة فقد دار الحوار بينهما عن طائفة تدّعي معرفة الغيب، وأخبار النجوم، والسحر، والكهانة، كما سأله خلال هذه المسألة عن بعض أحكام السوق والبيوع[84] ،وكان الشيخ يرد ويجيب بالحجة والبرهان، ردّ المدرك لحقيقة الأمور والقضايا حقيقة واقعية، عارفا بما يدور في المجتمعات والشعوب.

ويظهر من إجابات المغيلي أنه كان يغلّب البعد المقاصدي في إجاباته، كالدعوة للإخلاص وتحقيق حسن القصد، ويدعو دائما من خلال إجاباته إلى أخلقة العمل السياسي، بدعوة السلطان إلى العدل، والإنصاف، والبعد عن الظلم وعواقبه، ويلاحَظ أيضا أن المغيلي كان عالما بقضايا الحكم، وشؤون السلطنة وتدابيرها، وعارفا أيضا بخبايا الشعوب وطبائعهم.

لقد مثل المغيلي صورة مهّمة للفقيه المصلح المتدخّل في الشأن العام والعمل السّياسي، إذ لم يكن حبيس مكتبته أو صومعته، بل صال وجال في ممالك ودول، وأثرى المكتبة العربية الإسلامية بعلمه في فنون شتى، وخاصة في السياسة الشرعية، كما كانت تفاعلاته الواقعية مادة مهمة للباحثين في الجزائر أو في دول السودان الغربي أو في غيرها، مما يجعله يشكل حلقة مهمة بين الجزائر والدول الإفريقية في مجال الدّين والفكر والثّقافة.

[81] أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، المغيلي، المصدر السّابق، ص. 175.

[82] المصدر نفسه، ص. 177.

[83] المصدر نفسه، ص. 181-186.

[84] المصدر نفسه، ص. 186.

خاتمة:

بعد الانتهاء من هذه الورقة البحثيّة المسماة الفقهاء والسّلطة السّياسيّة محمد بن عبد الكريم المغيلي أنموذجا، وبعد الوقوف على أهمّ مراحل حياة الشيخ المغيلي وأغلب احتكاكاته بالقضايا السياسيّة، في توات، وفاس، وكانو، والسنغاي، ومن خلال أهم رسائله في الفقه السياسي التي وقفت عليها، وما اطلعت عليه ممّا أُلف حول هذا الموضوع، يمكن أن نستخلص جملة من النتائج، والتوصيات التي يمكن للباحثين أن يجعلوها من منطلقا للتوسع في مجال هذه القضايا خدمة للأمّة وللعلم والمعرفة.

أ – النتائج:

1 – يعدّ الفقيه محمد بن عبد الكريم المغيلي واحدا من أهمّ العلماء في الفترة الوسيطة في الغرب الإسلامي، فقد كان موسوعيّ المعرفة، غزير العلم، قد علا كعبه في علوم وفنون شتى.

2 – ترك المغيلي خزانة علميّة كبيرة تدلّ على سعة اطلاعه، وتنوّع مداركه، فقد ألّف في الكثير من العوم والفنون، كالفقه، والحديث، والتفسير ، والمنطق، واللّغة، والسّياسة الشرعيّة وغيرها.

3 – كان المغيلي مع كثرة اطّلاعه وسعته المعرفيّة، كثير الرحلة في الطلب وفي الدّعوة والإصلاح، فقد شاهد أحوال أهمّ الحواضر في بلاد المغرب، مثل تلمسان، بجاية، فاس، توات، تكدة، غاو وغيرها من الحواضر الكبرى.

4 – كان الشيخ المغيلي صاحب مكانة عالية في مجتمعه، فكلما دخل منطقة إلا وترك فيها أثرا علميا، وتلاميذ كثر ينقلون عنه العلم وما استفادوا منه رحمه الله.

5 – تعرض الفقيه الفقيه المغيلي لمحنة، جرّاء حملته ضد يهود توات إذ تعدّ الحدث الأبرز في مسيرته، وذلك بعد أن رأى منهم ما يهدّد مصالح المسلمين في دينهم ودنياهم، وذلك بعد تنفّذهم عند أصحاب الشوكة، وسيطرتهم على مفاصل التّجارة وطرقها، وبنائهم للكنائس والمعابد الخاصة بهم.

6 – أحدث المغيلي سجالا علميّا في كل حواضر بلاد المغرب، حول هذه القضية، كما تحرك ميدانيا تاركا تجربة سياسية تستحقّ تسليط الضوء على تفاصيلها أكثر.

7 – سافر المغيلي إلى أهمّ حواضر السودان الغربي، وتقرّب من سلاطينها وأمراءها، للنصح والتّوجيه والدّعوة إلى الله، تاركا تراثا مهمّا في الفقه السياسي السّنّي.

8 – تعتبر حياة المغيلي تجربة خصبة لدراسة هذه الثنائيّة –الفقهاء والسلطة– ومحطّة مهمّة في فهم الجدليّة أكثر، من خلال تفاعلاته في القضايا السياسية، معرفة وعلما، وواقعا وميدانا.

9 – استطاع المغيلي أن يجمع بين الأنماط المعروفة في التفاعل مع السلطة السياسيّة، فقد كان المعارض الشّرس حينما اقتضت الضرورة لذلك، وخاصة في توات ومع السلطة الوطاسيّة، كما كان المتعاون، النّاصح، المقترب من الكثير من الملوك والسّلاطين الذين رأى فيهم أثر الخير ،وقبول النصح، مثل أمير كانو وأمير السنغاي.

10 – يعدّ المغيلي مثالا فريدا لمحاولة فهم أسس هذه العلاقة، وقواعدها، فلم يكن في صدام دائم، ولا أداة طيعة في أيديهم، رغم أن التاريخ يثبت أن كلا منهما يريد كسب مساحات لصالحه، وكانت سلطة السّيف دائما ما تحسم الصّراع زمنيّا، إلا أنّ سلطة القلم الأقوى أثرا، والأطول أمدا.

11 – شكّل المغيلي أحد أهم حلقات التّواصل مع العمق الإفريقي الذي يمثل عمقا استراتيجيا لدولة الجزائر .

ب – التوصيات:

1 – ضرورة تكاثف جهود الباحثين في مجال الفكر السياسي لمحاولة فك الاشتباك بين الكثير من الثنائيات، وخاصّة هذه الثنائيّة التي ألقت بظلالها على التّاريخ الإسلامي.

2 – تسليط الضوء على الكثير من الفقهاء الذين تزخر حياتهم بالأحداث، والوقائع، والمؤلفات التي تجلّي هذه القضية بالذات، وذلك لرسم نظرية كاملة فيها.

3 – لا تزال بعض مخطوطات المغيلي تحتاج تحقيقا، وإخراجا لموائد البحث العلميّ، وعلى الجهات الرسميّة الاعتناء بهذه الشخصيات وآثارها التي ما يزال الكثير من أعمالهم حبيس رفوف مكتبات المخطوطات.

4 – الاعتناء بالشخصيات التي تمثل حلقات تواصل مع الكثير من الأقاليم في العالم الإسلامي، وخاصة الأقاليم المجاورة، مثل السّودان الغربي الذي يعدّ عمقا استراتيجيا لبلادنا مع إخوة الدّين واللّغة والتاريخ.

هذا ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات بعد هذا العمل، سائلا من المولى القدير أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن يعفو عنّي ما زلّ به قلمي، وما جنح به فكري، والصلاة والسلام على خير البشر محمد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيرا.

قائمة المصادر والمراجع:

الأحكام السّلطانيّة والولاية الدّينيّة، أبو الحسن الماوردي، مصر: مطبعة مصطفى الحلبي وأولاده، ط.3، 1973م.

أساس البلاغة، الزمخشري، تح: عبد الرّحيم محمود، بيروت: دار المعرفة، دت.

أسئلة الأسقيا وأجوبة المغيلي، محمد بن عبد الكريم المغيلي، تح: عبد القادر زبادية، ملحق بكتاب الحضارة العربيّة والتأثير الأوروبي في إفريقيا الغربيّة جنوب الصحراء دراسة نصوص، عبد القادر زبادية، ب ط، الجزائر: المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، 1989م.

الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم المغيلي وفجر التغييرات في القرن التاسع الهجري، محمد الأمين بلغيث، أعمال ملتقى دولي بتلمسان بعنوان: الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي فقه السياسة والحوار الدّيني، الجزائر–تلمسان: منشورات وزارة الشؤون الدّينيّة والأوقاف،12–13 ربيع الأول 1433هـ/ 05–06 فيفري 2012م.

الإمام محمد بن عبد الكريم المغيلي، مقدّم مبروك، الجزائر: دار الغرب للنشر والتوزيع، 2002م.

بدائع السّلك في طبائع الملك، ابن الأزرق، تح: علي سامي النّشار، العراق: منشورات وزارة الإعلام، 77– 1978م.

البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ابن مريم، الجزائر: المطبعة الثعالبيّة، 1908م.

بين السلطان أبي عنان المريني والفقيه الشّريف التّلمساني، (مقال من سلسلة ندوات تاريخ المغرب، السلطة والفقهاء والمجتمع 2013م)، المغرب: كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة جاكعة ابن الطّفيل، 2013م.

تاج الدّين فيما يجب على الملوك والسّلاطين، محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، تح: محمد خير رمضان يوسف، لبنان–بيروت: دار ابن حزم، 1994م.

تاريخ السّودان، عبد الرحمان السعدي، باريس: باريس المكتبة الأمريكيّة والشّرقيّة، 1981م.

تاريخ الفتاش، محمود كعت، سوريا–دمشق: ناشرون، ط1، 2014م.

تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير، بوفيل، تر: الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز، بنغازي: منشورات جامعة قار يونس، ط.2، 1988م.

الجامع الصحيح، البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما ذكر عن بني إسرائيل، الجزائر: شركة الشّهاب، 90–1991م.

الجامع الصّحيح، مسلم، كتاب الإمارة، باب وجوب الوفاء ببيعة الخلفاء الأوّل فالأوّل، القاهرة: دار الكتاب المصري–بيروت: دار الكتاب اللّبناني، دت، 3/1471–1472.

دوحة الناشر بمحاسن من كان بالمغرب من مشايخ القرن العاشر، محمد بن عسكر، تح: محمد حجي، الرباط: دار المغرب، 1977م.

رسالتان في أهل الذمّة، الرسالة الأولى: مصباح الأرواح في أصول الفلاح، محمد بن عبد الكريم المغيلي، تح: عبد المجيد الخيالي، ط1، بيروت–لبنان: منشورات محمد علي بيضون دار الكتب العلميّة، 2001م.

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، الجزائر: منشورات وزارة الشؤون الدّينيّة والأوقاف، تلمسان عاصمة الثقافة الإسلاميّة، 2011م، 2/ 368.

الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي جهوده وشهرته خارج الجزائر، عبد القادر زبادية، المهرجان الثقافي الأول للتعريف بمنطقة أدرار، 13–14 شعبان/03–04 ماي 1985م.

فقهاء المالكيّة والتّجربة السّياسيّة الموحديّة، لخضر بولطيف،الجزائر: دار الصديق للنشر والتوزيع، ط. خاصة، 2015م.
فقهاء تلمسان والسّلطة الزّيانيّة، صابرة خطيف، ط1، الجزائر: دار الجسور للنشر والتّوزيع، 2011م،.
الفقيه المصلح محمد بن عبد الكريم المغيلي، أحمد الحمدي، الجزائر: مكتبة الرشاد للنشر والطباعة والتوزيع، 212م.
الفقيه والسّلطان جدليّة الدّين والسّياسة، بيروت–لبنان: دار الطليعة للطباعة والنّشر، ط.2، 2001م.
الفكر الإصلاحي والدّعوي عند الشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي التلمساني، خير الدّين شترة، الأعمال الكاملة للشيخ محمد بن عبد الكريم المغيلي، الجزائر: عالم المعرفة، 2013م.
فيما يجوز للحكام من ردع النّاس عن الحرام، محمد بن عبد الكريم المغيلي، ملحق بكتاب مصباح الأرواح في أصول الفلاح، تح: رابح بونار، الجزائر: الشركة الوطنيّة للنشر والتّوزيع، 1968م.
لسان العرب، ابن منظور، بيروت: دار صادر، ط.3، 1994م، 522/13.
المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أحمد بن يحيى الونشريسي، بيروت: دار الغرب الإسلامي، 1981م.
المقدّمة، عبد الرحمان بن خلدون، تح: درويش الجويدي، بيروت: المكتبة العصريّة، 1995م.
الموطأ، باب القدر، تح: سعيد محمّد اللّحام، بيروت: دار إحياء العلوم، ط.2، 1990م.
نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي، محمد الصغير الإفراني، أنجي (فرنسا): مطبعة بردين، 1888م.
نفح الطيب، أحمد المقري، تح: إحسان عباس، بيروت: دار صادر، 1998م.
نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، أحمد بابا التّنبكتي، ط2، طرابلس: منشورات دار الكتاب، 2000م.